تفريغ علمي

لم يراجع الشيخ، وقد أذن بنشره

ألفية ابن مالك

شرح فضيلة الشيخ

أ.د/ سليمان بن عبد العزيز العيوني

مكتب جرير للتفريغ
محمد الشرقاوي
00201111633967

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد،

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله وبياكم جميعًا في هذه الليلة المباركة، ليلة الاثنين في هذا الجامع المبارك، جامع الراجحي بحي الجزيرة، في الثامن عشر من شهر صفر من سنة تسع وعشرين وأربعمئة وألف من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، نعقد -بإذن الله- الدرس الأول من دروس شرح ألفية ابن مالك -رحمه الله- في النحو، مستعينين بالله متوكلين عليه، والنية معقودة على أن يتم الشرح في سنتين -إن شاء الله-، ونسأل الله تعالى أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يرزقنا فيه التوفيق والإفادة والاستفادة والفهم، إنه على كل شيء قدير، وبيده الأمر وإليه الأمر.

التعريف بالناظم:

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الأندلسي الجَيَّاني الدمشقي، فالطائي نسبة؛ لأنه من قبيلة طيئ، والأندلسي الجياني؛ لأنه من أهل الأندلس، وولد في هذه البلدة ونشأ فيها حتى بلغ قرابة العشرين، ثم ارتحل إلى المشرق، والدمشقي؛ لأنه استقر في آخر حياته في مدينة العلم في ذلك الزمان دمشق، وبها وفاته -رحمه الله- سنة اثنتين وسبعين وستمئة، أي في قرابة منتصف القرن السابع.

وقال بعض من ترجم له: بأن عبد الله في نسبه ثلاث مرات أي محمد بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الله، وهذا ليس مستبعدًا على عائلة ابن مالك؛ لأنه كان من المعروف عنهم كثرة ترديد الأسماء في الآباء والأجداد والأولاد، فابن مالك نفسه رزق بثلاثة أولاد ذكور سماهم كلهم محمدًا ثم فرق بينهم بالألقاب،

فأكبرهم بدر الدين وهو العالم النحوي البلاغي المشهور بابن الناظم، والثالث نسيت لقبه الآن[١].

إذا قال قائل: جده مالك في نسبه هل هو جده القريب، أم أنه جد بعيد تنتسب إليه هذه العائلة؟.

والجواب: أن كل ذلك محتمل، وإن كان هذا يؤثر في الإعراب، فإذا كان هو الجد القريب فسَنَجُر ابن؛ لأنها صفة لعبد الله وهو حينئذ مجرور، وإذا كان هو جده البعيد، فابن مالك حينئذ يكون من صفة محمد.

نشأته:

نشأ ببلاد الأندلس وهي بلاد علم وحضارة، وكانت نشأته في أوائل القرن السابع؛ لأنه ولد على الصحيح سنة ستمئة، وهذا الوقت في الأندلس كان وقت اضطراب، وتسلط الصليبيون وصاروا يأخذون الأندلس بلدة بعد بلدة، والمسلمون كانوا -وللأسف- مشتغلين بمقاتلة بعضهم، حتى هاجر كثير من العلماء من الأندلس إلى المغرب القريب، أو إلى المشرق الإسلامي، وكان ممن هاجر ابن مالك في قرابة سنة ستمئة وعشرين، فكان عمره قرابة العشرين سنة، ومر على بعض البلاد الإسلامية كمصر والحجاز فحج، ثم قصد الشام بلد العلم في ذلك الوقت واستقر في حلب طويلًا، وفيها ألف منظومته الطويلة في النحو المسماة: (الكافية الشافية) في النحو والتصريف، وسيأتي أن هذه المنظومة الطويلة هي أصل الألفية، وقد اختصرها منها، وبعد ذلك سكن حماة وفي حماة ألف الألفية أو اختصرها من الكافية الشافية، ثم في آخر حياته استقر في دمشق إمامًا ملء سمع الدنيا، وتسابق الطلبة إليه وكثروا، وصار إمام المدرسة العادلية في دمشق، وقد كانت من أشهر المدارس، وكانت عبارة عن قسمين:

القسم الأول: في القراءات والعربية.

---

[١] المفرغ: هو تقي الدين الملقب بالأسد.

القسم الثاني: في العلوم الشرعية.

وكان ابن مالك إمام قسم القراءات والعربية بعد الإمام المشهور ابن شامة، واستقر فيها وألف فيها أعظم كتبه، وهو كتاب: (تسهيل الفوائد)، وإن كانت الألفية هي أشهر كتبه، حتى توفي -رحمه الله- فيها سنة اثنتين وسبعين وستمئة.

مكانته:

هو إمام كبير في النحو وفي اللغة، وكان حافظًا لكلام العرب شعرًا ونثرًا، حتى كان العلماء يتعجبون من الشواهد التي يأتي بها، فلهذا أدخل في النحو شواهد كثيرة، ما كان النحويون من قبله يعرفونها أو يذكرونها في كتبهم؛ لأنه كان حافظًا لأشعار العرب وفاهمًا لها، ولذلك يستطيع أن يأتي بمواضع الاستشهاد منها، وهناك رسالة علمية كاملة في شواهد ابن مالك؛ لكثرتها وتميزها، وهو من العلماء الذين تميزوا بأمور كثيرة، منها:

الأمر الأول: أنه كان مدرسًا، فقد بقي وقتًا طويلًا في التدريس، فعندما كان في حلب كان مدرسًا في المدرسة السلطانية، وعندما ذهب إلى دمشق تولى إمامة المدرسة العادلية، فلهذا ألف كتبًا كثيرة، وكانت طريقته في التأليف طريقة جميلة، فكان يؤلف متنًا صغيرًا ويشرحه للطلاب، وفي نهاية الشرح يرى أن في هذا المتن نواقص وبعض العيوب، فيؤلف متنًا جديدًا يتلافى فيه العيوب السابقة، وأحيانًا كان بعد أن يؤلف المتن يكتب عليه شرحًا، فبهذه الطريقة ألف -رحمه الله- عدة متون نحوية وشرحها، وكثير منها موجود، فله (عمدة الحافظ وعدة اللافظ) في النحو وشرحه وهو موجود، وله المنظومة (الكافية الشافية) وشرحها، وله (تسهيل الفوائد) وشرحه، وكتب أخرى على هذا المنوال.

الأمر الثاني: أنه رتب النحو ترتيبًا يخالف ترتيب من قبله، وهذا الترتيب صار ترتيبًا معتمدًا لأغلب الدارسين للنحو في العالم الإسلامي إلى اليوم؛ لأن هذه الطريقة كانت تعتمد على ما يسمونه الآن بالنظريات التربوية للتعليم، فرتب النحو بحيث يبدأ الطالب المتعلم بالتدريج، بالانتقال من الجزء إلى الكل، ومن الصغير

إلى الكبير، فلهذا أحسن جمع مقدمات النحو في أوله؛ لأن الطالب سيحتاج إليها في كل النحو، وفي كتب كثيرة قبل ابن مالك كانت هذه المقدمات مبعثرة إلى آخر الكتاب، فكادت كتب ابن مالك وخاصة الألفية تسيطر على الدرس النحوي بعده -رحمه الله-، فلهذا قررت في أغلب معاهد التدريس والجامعات في العالم الإسلامي إلى اليوم.

الأمر الثالث: أنه سُهِّل عليه النظم، حتى قيل: لو شاء أن يجعل كلامه نظمًا لفعل. وله -رحمه الله- منظومات كثيرة، وفيها نفس طويل، وعلى كثرتها تعد من أجود وأفضل المنظومات العلمية، حتى قال دارسوا المنظومات التعليمية والعلمية: إن ألفية ابن مالك هي أفضل المنظومات العلمية من حيث اللفظ. أما من حيث المعاني فكل علم له معانيه، وحُقَّ لها أن تعد كذلك، والناس أكيس من أن يمدحوا رجلًا ما لم يروا عنده آثار إحسان، فانتشارها وحفظها وبقاؤها إلى اليوم دليل على جودتها، مع أن المنظومات المنافسة لها كثيرة، وقد ذكر أشهرها ابن مالك في مقدمة الألفية، عندما قال: فائقةً ألفية ابن معطي.

من منظوماته:

الأولى: (الكافية الشافية)، وألفها في أول حياته، وهي في خمسين وسبعمئة وألفي بيت، وشرحها.

الثانية: (الإعلام بمثلث الكلام)، وهي في قرابة ثلاثة آلاف بيت عن اللغة المثلثة يعني الكلمة الواحدة التي تأتي مرة بالفتح ومرة بالكسر ومرة بالضم، واختلاف المعاني بناء على ذلك، وشرحها.

الثالثة: منظومة في القراءات كانت تعد كمنظومة الشاطبي في القراءات، إلا أن البقاء كتب لمنظومة الشاطبي واشتهرت، ولم تشتهر بعد ذلك منظومة ابن مالك، مع أنها في وقته كانت مشهورة وتحفظ للطلاب، وسماها (المالكية في القراءات) في قرابة ألف بيت، وستطبع -إن شاء الله- محققة قريبًا.

هذه إلمامة سريعة للتعريف بإمامنا وشيخنا وشيخ النحويين ابن مالك، ويكفي أن يقال: إن ابن مالك هو أشهر النحويين بعد سيبويه.

التعريف بالألفية:

اسمها:

(الخلاصة)، وهذا اسمها الذي أطلقه عليها ابن مالك، وقد ذكر ذلك في آخر الألفية، فقال:

وما بجمعه عنيت قد كمل *** نظمًا على جُلِّ المهمات اشتمل

أحصى من الكافيةِ الخلاصة *** كما اقتضى غنىً بلا خصاصة

فهي خلاصة منظومته الكافية الشافية، أما اسمها العلم المشهور الذي أطلق عليها بعد ذلك واشتهر هو: (ألفية ابن مالك)، ويسمى هذا العلم بالغلبة، وبعضهم يقول: ألفية ابن مالك في النحو، أو في النحو والصرف، ولكن هذه الزيادات غير معروفة في الاسم القديم.

عدد أبياتها:

بيتان وألف بيت، وسميت بالألفية؛ لأن عادة العرب قديمًا وحديثًا أنهم لا يعتدون بالنيف في العدد، وكثير من العلماء الذين ألفوا منظومات وسميت بالألفيات لا تكاد تكون ألفًا فهي إما أن تزيد وإما أن تنقص، كألفية العراقي في الحديث وهي ألف وبيتان.

مكان تأليفها:

ألف ابن مالك ألفيته في حماة من مدن الشام المشهورة.

سبب التأليف:

ألفها لتلميذه شرف الدين هبة الله البارزي المتوفى سنة ثمان وثمانين وسبعمئة، وأبوه كان القاضي المشهور في حماة، فعندما جاء ابن مالك إلى حماة، طلب القاضي من ابن مالك أن يُدرِّس ابنه أو أن يَدرُس ابنه عليه، فدرس عليه فاختصر له الكافية الشافية في هذه المنظومة.

زمن التأليف:

كان تأليفها قرابة سنة ستين وستمئة، أي قبل وفاته المؤلف باثنتي عشرة سنة.

أصل الألفية:

والكافية الشافية لها عدة مخطوطات قديمة ترقى إلى عصر ابن مالك نفسه، وبخط تلاميذه، ووجد في هذه المخطوطات أن ابن مالك نفسه قد غير في الكافية الشافية، فكان يضرب على بعض الأبيات ويغيرها، وأحيانًا يزيد بعض الأبيات، أو يختصر بعض الأبيات الطويلة في أبيات أقصر، وهذا ليس غريبًا على ابن مالك، فكأن ابن مالك -رحمه الله- وجد أن إصلاح الكافية الشافية صعبًا، وأنها صارت صعبة على طلبة العلم لطولها، فوجد أن من الأفضل أن يختصر منها منظومة يتلافى فيها هذين العيبين، ويمكن لمجمل الطلاب أن يحفظوها، فاختصرها في قرابة ألف بيت، وألف بيت في ذلك الزمان كان من السهل على طلاب العلم أن يحفظوها، وقد أبقى ابن مالك كثيرًا من الأبيان من الكافية الشافية بلفظها، فأبقى أكثر من مئتي بيت بلفظ الكافية، وأبقى أبيات كثيرة بتغيير يسير، وهذا يؤكد ما يقوله الدارسون من أن الألفية مختصر للكافية.

شروح الألفية:

لم يشرح ابن مالك هذه الألفية، ويعلل الدارسون ذلك بأمور، منها: أنه بعد أن ألفها في حماة عاد بعد سنة أو سنتين إلى دمشق عالـمًا كبيرًا ملء الدنيا، وأعطي المدرسة العادلية، فانشغل بأمور كثيرة علمية وإدارية بالمدرسة، كما أنه انشغل بتأليف كتب أخرى عظيمة، ككتابه (التسهيل) الذي لو لم يؤلف ابن مالك سواه؛ لعد من أعظم النحويين، ثم بعد ذلك شرع في شرح التسهيل، إلا أنه توفي -رحمه الله- قبل أن يتم الشرح، مع أنه شرح كثيرًا منه.

أول من شرح الألفية:

قيل لابن مالك: لماذا لا تشرح منظومتك الألفية؟. فقال: كفاني ذلك ابن الـمُنجَّى فقد شرحها. وابن المنجى هو من تلاميذ ابن مالك، وقد شرح الألفية في حياة ابن مالك، إلا أن هذا الشرح لم يصل إلينا.

وأول شرح وصل إلينا من شروحات الألفية هو شرح بدر الدين ابن الناظم أكبر أولاد ابن مالك، وهو عالم كبير في النحو والبلاغة، وشرحه موجود، ويعد من أفضل وأعظم شروح الألفية، وكل من شرح الألفية بعد ذلك هو عالة عليه.

وكثرت بعد ذلك شروح الألفية وتنوعت، حتى صارت بالمئات وصار من الصعب إحصاؤها، فمنها الشرح بالعربية وبغير العربية، ومنها الشرح المنثور والمنظوم، والشرح الموجز والمتوسط والكبير والبسيط، ومن أهم هذه الشروح:

الأول: شرح ابن هشام الأنصاري المصري الحنبلي المتوفى في القرن الثامن، واسمه: (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، وهذا الشرح وإن كان صغيرًا، إلا أنه أضبط الشروح في دقة العبارة وضبط المسائل، فلهذا اعتمدته كثير من الجامعات.

الثاني: شرح أبي إسحاق الشاطبي الأصولي صاحب الموافقات، واسمه: (المقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافية)، وهو أكبر شروح ألفية ابن مالك وأوسعها، وقد طبع قريبًا في عدة أجزاء.

الثالث: شرح ابن عقيل المصري المتوفى في القرن الثامن، وهو من أوضح شروح ألفية ابن مالك، ويعد من الشروح المتوسطة، وعليه حاشية نفيسة جدًا للشيخ الخضري تسمى: (حاشية الخضري على شرح ابن عقيل).

الرابع: شرح الأشموني المتوفى في القرن العاشر، وعليه حاشية مهمة، وهي حاشية الصبان على شرح الأشموني، وتعد من الكتب الكبيرة في النحو.

الخامس: شرح المرادي المسمى: (توضيح المقاصد والمسالك).

السادس: شرح الهواري.

السابع: شرح برهان الدين ابن القيم، وهو من أولاد الإمام ابن القيم المشهور.

وكل هذه الشروح مطبوعة، ومن الشروح المنظومة: شرح محمد بن محمد بن محمد الغزي شرحها في عشرة آلاف بيت، شرح كل بيت في عشرة أبيات، وهي منظومة جميلة وسهلة، إلا أنها لم تطبع.

شروح الألفية للمعاصرين:

الأول: (القواعد الأساسية) للشيخ أحمد الهاشمي، وهو من شيوخ الأزهر المتأخرين.

الثاني: (الشرح الميسر) للدكتور عبد العزيز الحربي، وهو في مجلد واحد.

ولها شروح مسموعة، ولكني لا أعلم لها شرحًا مسموعًا كاملًا، ومن ذلك شرح شيخنا ابن عثيمين -رحمه الله- فقد شرح أوائلها، وشرح آخر لأستاذنا الدكتور محمد الفاضل فقد شرح شرحًا من شروحها وهو (أوضح المسالك)، ويمكن للطالب أن يستفيد من هذه الشروح.

أما هذا الدرس فسيكون -بإذن الله- شرحًا للألفية نفسها، غير مرتبط بشرح من هذه الشروح، غايته معرفة النحو الذي في ألفية ابن مالك -رحمه الله-.

أهمية النحو:

لا يخفى عليكم أهمية النحو، ولكني أنبه إلى شيء من أهميته، وأنبه في أول هذا الكلام إلى كتاب جيد، وهو بحث علمي بعنوان: (الأحاديث والآثار الواردة في فضل اللغة العربية وذم اللحن، رواية ودراية)، للدكتور: أحمد بن عبد الله الباتلي، وقد ذكر جملة من الأحاديث والآثار الواردة في هذا الموضوع، وخرجها تخريجًا حديثيًا، وسنقتصر على شيء مما صح، ونترك غيرها مما لم يصح، فمما صح في ذلك:

أولًا: عن عمر -رضي الله عنه- أنه كتب: أن تعلموا الفرائض والسنة واللحن، كما تعلمون القرآن. وقد حدث به يزيد بن هارون، فقيل له: ما اللحن؟. فقال: النحو.

ثانيًا: قال أبو العالية: كان ابن عباس يعلمنا اللحن. واللحن له معان في اللغة، منها: الخطأ ومعرفة تجنبه، وإنما يكون تجنب اللحن في الكلام بمعرفة اللغة، ومن أهم علوم اللغة النحو.

ثالثًا: جاء عن الإمام أيوب السختياني أنه كان إذا لحن في كلامه قال: أستغفر الله.

رابعًا: وصح عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه كان يضرب ولده على اللحن. وجاء نحوه عن علي بن أبي طالب، وابن عباس -رضي الله عنهم-، وهذا أمر معلوم عن السلف أنهم كانوا يؤدبون أولادهم ويعلمونهم اللغة والنحو، ولا يرضون أن يلحنوا في كلامهم منذ الصغر، ولذلك يقول ابن تيمية -رحمه الله-: وكان السلف يؤدبون أولادهم على اللحن، فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي، ونصلح الألسنة المائلة عنه، فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة، والاقتداء بالعرب في خطابها، فلو تُرك الناس على لحنهم كان نقصًا وعيبًا[٢]. وقال أيضًا: إن اللغة العربية شعار الإسلام وأهله. وله كلام طويل في أهمية اللغة العربية في كتابه: (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم)، إذ عد اللغة العربية من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها أهل الصراط المستقيم، فقال: إن نفس اللغة العربية من الدين، وتعلمها فرض واجب، فإن الكتاب والسنة جاءا بالعربية، ولا يفهمان إلا بها، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

خامسًا: قال الزهري: ما أحدث الناس مروءة أعجب إلي من تعلم الفصاحة.

خدمة العلماء للعربية:

خدم العلماء العربية خدمة عظيمة، فنجد من العلماء كالخليل، وأبي عمرو البصري، وأبي زيد الأنصاري من تركوا البصرة وبلاد الحضارة والرفاهية في ذلك الوقت، وذهبوا إلى داخل جزيرة العرب حيث الحر والرمال وقلة الأمن، يبقى أحدهم أربعين سنة يتنقل بين هذه القبائل؛ لكي يحفظ كلام العرب ويكتبه، وذلك في أول محاولة استنباط القواعد وجمع النحو، وقد كانوا يفعلون ذلك بدافع إيماني؛ لطلب الثواب من الله تعالى في حفظ هذه اللغة التي بها يفهم القرآن والسنة.

[٢] مجموع الفتاوى.

فينبغي للمسلمين أجمعين أن يهتموا باللغة العربية؛ لأنها لغة الكتاب والسنة أي لغة دينهم، ولا يمكن أن يفهم هذا الدين على مراد الله ومراد نبيه إلا بها، وكثير من الأخطاء في العقيدة والشريعة، وظهور البدع كانت لأسباب، منها: الخطأ في اللغة. بحيث يفهم العالم من النص فهمًا يخالف فهم العرب، فبعض الذين وقعوا في البدع لا يُشك في دينهم، حيث أنهم أئمة كبار ومعروفين بالزهد والورع، ولكنهم وقعوا في هذه البدع والأخطاء، ولهذا عندما ناقش أحد المعتزلة وهو بشر المريسي الإمام أبا عمرو البصري اللغوي النحوي الكبير وهو القارئ السبعي المشهور في مسألة عقدية، قال له أبو عمرو: إنما أتيت من فهمك العجمي. ومن الأمثلة على ذلك المسألة المشهورة في خلق القرآن الذي ابتلي فيها إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل –رحمه الله– إذ كانت المعتزلة تقول: القرآن مخلوق. وأهل السنة يقولون: القرآن كلام الله المنزل غير مخلوق. والمعتزلة منهم علماء كبار وكانوا يحتجون بآيات وأدلة، وحجتهم الكبرى في ذلك الباب قولهم: إن الله تعالى قال: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الزمر: ٦٢]، والقرآن شيء، فالنتيجة أن القرآن مخلوق. والجواب على هؤلاء يكون من طريق اللغة، فيقال: إن العرب لا تفهم من هذه الآية أن كل شيء مخلوق، وإنما تفهم فهمًا مرتبطًا بكلمة (خالق)، فمعنى الآية في لغة العرب: كل شيء مخلوق فخالقه الله. فإن لم يكن الشيء مخلوقًا فلا يدخل في الآية أصلًا، فالله تعالى شيء، كما قال تعالى: {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ} [الأنعام: ١٩]، ومع ذلك لا يدخل في الآية؛ لأنه غير مخلوق، ويدل على ذلك أيضًا قوله تعالى في ريح عاد: {تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ} [الأحقاف: ٢٥]، فالريح لم تدمر السماوات ولا الأرض، فالمعنى أنها تدمر كل شيء أمرت بتدميره. فهكذا تفهم العرب، فيجب أن يفهم القرآن والسنة بطريقة العرب.

وللإمام الشافعي –رحمه الله– كلام جيد عن اللغة في كتابه العظيم: (الرسالة).

الطريقة المثلى لتعلم النحو وتحصيله:

حسب خبرتي في التدريس وتعاملي مع كثير من الطلاب، أجد أن كثيرًا من الطلاب قد درس النحو من قبل عدة مرات في الابتدائية والاعدادية والثانوية، وربما في الجامعة وتخرج، ولكنه لم يفهم، فالمشكلة

ليست في المعلومات، فالنحو هو النحو، إلا أنه يزيد ويتوسع فيه كلما تقدم الإنسان في الطلب، فالمشكلة تكمن في أمرين:

الأمر الأول: عدم ترتيب هذه المعلومات، فهو يأخذ هذه المعلومات متتابعة كثيرة، لكنه لا يحسن ترتيبها، فلهذا لا يستفيد منها، فإذا أراد أن يستعيد شيئًا من هذه المعلومات لا يستطيع؛ لأنها مبعثرة في ذهنه، فيحتاج إلى وقت طويل للبحث عنها، ويتعب في البحث، وفي النهاية يقول: لا أعرف. مع أن المعلومة عنده، لكنه لم يضعها ويرتبها في مكانها الصحيح.

الأمر الثاني: وجود ثغرات علمية في بنائنا النحوي، فنحن لم نحصل كل المعلومات، وربما تفوتنا معلومات مهمة، لكنها تبقى ثغرات، كسد كبير ولكن فيه ثغرات كثيرة تنفذ الماء، فلو سألت كثيرًا منكم: ما المشكلة عندك في النحو؟. فيقول: لا أعرف. فهو يعرف أنه لا يعرف النحو، ولا يستطيع أن يعرب، لكنه لا يدري ما المشكلة، وكيف ذلك وهو قد درس سنوات في الابتدائي والمتوسط والثانوي والجامعة، فهو لا يستطيع أن يحدد المشكلة؛ لأن عنده ثغرات كثيرة لا يستطيع أن يتتبعها، فليس عنده طريقة علمية لتتبع هذه الثغرات، لكي يقف عليها ثغرة ثغرة، فإذا عرفها سدها، ثم ينتقل إلى الأخرى، وهكذا حتى يسد كل الثغرات.

خطوات تحصيل علم النحو:

الخطوة الأولى: أن يأخذ الطالب متنًا من المتون الصغيرة في النحو، وأشهر هذه المتون الآجرومية، فيقرأها عدة مرات حتى يستظهرها على الأقل، وإن حفظها فحسن.

الخطوة الثانية: أن يقرأ عليها شرحًا، وأفضل من ذلك -وهو الذي أوصي به- أن يسمع عليها شرحًا، وأفضل هذه الشروح -فيما أعلم- شرح شيخنا ابن عثيمين -رحمه الله- على الآجرومية، فإن لشروحه بركة وفيها وضوح، وهو شرح ليس بالطويل في ستة عشر شريطًا، فيسمعها متتابعة في قرابة أسبوع سماعًا سريعًا، ولو في السيارة؛ لأن الغرض من هذا السماع أن تسمع الشرح كله.

الخطوة الثالثة: أن يعود إلى هذا الشرح -بعد انتهاء الأسبوع، أو بعد عدة أيام- ليستمع إليه كله مرة أخرى استماعًا سريعًا متتابعًا في وقت قصير، والغرض من هذا الاستماع أن يستمع إلى الشرح كله مرة أخرى متتابعًا.

الخطوة الرابعة: أن يستمع إليه في المرة الثالثة أو يقرأه، بتأن وتمهل وتفهم وتعليق مع الشيخ، وإذا ذكر الشيخ شيئًا من الأمثلة للإعراب يعرب بنفسه قبل أن يعرب الشيخ، ويحل معه هذه التمرينات، وهذا الاستماع قد يبقى لأسبوعين أو ثلاثة، فإذا انتهى منه، فأرجو أن يكون قد استفاد فائدة كبيرة.

وهذه الطريقة فيها فوائد تربوية، وتراعي شيئًا من خصائص الإنسان وعقله، فبعض الطلاب يريد أن يأخذ العلم لكن لا يطرق البيت من بابه، فلهذا يكون تحصيله ضعيفًا، فالعقل البشري مهما كان له حدود، وخاصة في هذا الزمن الذي كثرت فيه الملهيات، فاحتاج أن يراعي عقله ويأخذه بالتدرج، فيستمع إلى الشرح في المرة الأولى لكي يمر عليه العلم كله، وترابط العلم من أهم الأمور في طلب العلم، ولهذا ما زال العلماء منذ القديم يوصين الطالب في أول طلبه للعلم أن يقرأ متنًا، ليس من المهم أن يفهم كل ما فيه، ولكن المراد أن يمر عليه كل المتن، فمروره عليه يفيد في ترابط المعلومات ومعرفة كيف ترتب العلم، وآخر العلم يكشف كثيرًا من أوله، والعقل نفسه يكتشف هذه الأمور ولو لم يتوقف عندها، ففي هذه المرة سيفهم شيئًا ما ولو عشرة أو عشرين بالمئة، ثم في الاستماع الثاني يتعود العقل على العلم، فيفهم أشياء لم يفهمها في المرة الأولى، وتكون نسبة تحصيله عشرين بالمئة مثلًا تضاف إلى النسبة الأولى، ثم في الاستماع الثالث سيستمع على تمهل وتأن وقد تهيء العقل واستطاع أن يربط هذا العلم بعضه ببعض، وأن يستفيد من آخره لأوله، وصار مستعدًا للوقوف عند بعض المشكلات التي كانت تمر عليه من قبل، فيفهم أشياء كثيرة لم يفهمها في المرتين السابقتين، ويكون -بإذن الله- قد فهم أكثر من خمسين بالمئة من الآجرومية، فإذا وجد أنه لم يفهم الفهم المطلوب، فيمكن أن يعود ويستمع مرة أخرى بهذه الطريقة.

تحذير: احذر أن تنتقل إلى كتاب نحوي آخر، وأنت لم تفهم الآجرومية بعد، فابق عليه حتى تفهم النحو، فإذا انتهيت من مرحلة الفهم يمكنك أن تنتقل بعد ذلك إلى أي كتاب نحوي آخر.

وهذا يقال في كل العلوم، فإذا أردت أن تبدأ في علم من العلوم، فاتخذ لك كتابًا من الكتب المهمة المشهورة واستشر العلماء فيه، واقرأه مرة ومرتين وثلاثة، واقرأ عليه شرحًا مرة ومرتين وثلاثة، حتى تتقن هذا العلم وتفهمه، فإذا انتقلت إلى كتاب آخر وأنت لم تفهم الأول، فإنك ستظل عمرك كله لا تفهم هذا العلم.

تنبيه: شَرْحُنا الآن للألفية هو لمن انتهى من الآجرومية والأزهرية، وسنراعي ذلك، والطالب الذي لم ينته منهما سيكون شرحنا للألفية غير مناسب له، فإما أن يبحث عن شرح مناسب له، أو يحاول أن يتدارك نفسه.

مدارج تعلم النحو:

الكتب النحوية أربعة أقسام:

القسم الأول: كتب للمبتدئين، ومنها: الآجرومية وهو أشهرها، وكذلك متن قطر الندى لابن هشام.

القسم الثاني: كتب للمتوسطين، ومنها: شذور الذهب لابن هشام، والجُمل للزجاجي، وشرح قطر الندى لابن هشام، والأزهرية للشيخ خالد الأزهري.

القسم الثالث: كتب للكبار، ومنها: الألفية وشروحها المختصرة كأوضح المسالك، وشرح ابن عقيل، والكافية لابن الحاجب، والمفصل لأبي القاسم الزمخشري.

القسم الرابع: كتب للمنتهين، ومنها: التذييل والتكميل لأبي حيان الأندلسي وهو شرح لكتاب التسهيل لابن مالك، وشرح المفصل لابن يعيش، ومغني اللبيب لابن هشام.

بالنسبة إلى حفظ الألفية وتسميعها، فمن أراد أن يحفظ الألفية، فإني أفضل له أن يحفظها بعد الانتهاء من الشرح؛ لأن هذا أفضل في تثبيت المعلومات، وأسهل في الحفظ.

قراءة الألفية:

هناك قراءات للألفية من أفضلها قراءة الحواس في شريطين، وهي جيدة، وهناك قراءة أسرع وهي أفضل، من إصدار مؤسسة الساعة بإشراف الشيخ الشنقيطي، وأغلب القراءات للألفية حتى هاتان القراءتان لا تخلو من أخطاء، لكن الثانية أفضلهم.

إعراب الألفية:

بالنسبة لإعراب الألفية، فإننا سنعرب شيئًا من الكلمات المشكلة من أجل التدرب على الإعراب، وهذا مما يفيد الطالب أن يكثر من القراءة في كتب الإعراب، ومن ذلك: إعرابات الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد لأغلب ما حققه، كأوضح المسالك، وشرح ابن عقيل، وشرح قطر الندى، وإعرابات الدكتور أحمد الخوام، والدكتور عبده الراجحي، وهذه القراءة في كتب الإعراب من أهم ما يكشف الثغرات التي عندك.

المجلس الثاني:

كعادة الناظمين بدأ شيخنا ابن مالك -رحمه الله- ألفيته بمقدمة يذكر فيها -كالمعتاد- اسم الناظم، ويحمد الله ويصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم يذكر غرضه من المنظومة، وقد يمدح منظومته بما هي أهل له، وهكذا فعل شيخنا ابن مالك في ألفيته، إذ قدم بمقدمة تقع في سبع أبيات، فقال:

*** المتن ***

قال محمد هو ابن مالك *** أحمد الله ربي خير مالك

مصليًا على الرسول المصطفى *** وآله المستكملين الشرفا

وأستعين الله في ألفيه *** مقاصد النحو بها محويه

تقرب الأقصى بلفظ موجز *** وتبسط البذل بوعد منجز

وتقتضـــي رضـــا بغـــير ســـخط *** فائقـــة ألفيـــة ابـــن معطـــي

وهـــو بســـبق حـــائز تفضـــيلا *** مســـتوجب ثنـــائي الجمـــيلا

والله يقضـــي بهبـــات وافـــرة *** لي ولـــه في درجـــات الآخـــرة

*** الشرح ***

قوله: (قال محمد هو ابن مالك): بدأ المؤلف -رحمه الله- منظومته بذكر اسمه، وهذه عادة انتشرت في المنظومات العلمية.

قوله: (أحمد الله ربي خير مالك): ثم حمد المؤلف الله تعالى.

قوله: (مصليًا على الرسول المصطفى وآله المستكملين الشَّرفا): ثم صلى المؤلف على الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى آله.

ويوجد في بعض المخطوطات الحديثة للألفية مكان الرسول النبي.

إن قيل: لم لم يصل على الصحابة والتابعين؟.

الجواب: إن الآل بحسب استعمالها، لها إطلاقان:

الأول: إن أفردت فيراد بها أتباع الرجل على ملته، أو مذهبه، أو دينه، أو باطله، فعلى ذلك يكون المراد بالآل هنا أتباع النبي صلى الله عليه وسلم على دينه، فيدخل في ذلك كل المؤمنين من أهله وأقاربه، والمؤمنين الذين في عصره والمؤمنين بعد ذلك إلى يوم القيامة.

الثاني: إذا ذكر مع الآل غيرهم، فالمراد بالآل حينئذ أهل بيته وأقربائه الأدنون، كعلي بن أبي طالب والعباس.

وذكر بعض العلماء: أنه جاء في بعض نسخ الألفية كلمة الشَّرفا، مضمومة الشين الشُّرفا، فتكون الكلمة حينئذ مقصورة من مد، وأصلها الشرفاء.

قوله: (وأستعين الله في ألفية مقاصد النحو بها محوية): ثم طلب الإعانة من الله تعالى؛ لأنه يعلم أنه إذا لم يعنه الله على ما يريد، فلن يبلغ مراده، والاستعانة أمر عظيم في حياة المسلم، بل إن المسلم إنما يدرج في هذه الحياة قاطعًا الطريق إلى الله تعالى، منتقلًا بين منزلة إلى منزلة من منازل العبادة والاستعانة، فإن فقد شيئًا منها انقطع في الطريق، ولم يصل إلى الله تعالى، ولشيخ الإسلام ابن القيم كتاب عظيم في هذا المعنى، سماه: (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

ولو أن شيخنا ابن مالك –رحمه الله– قال: والله أستعين. لكان ذلك أفضل، اقتداء بقوله تعالى: {إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥]؛ لأن تقديم المفعول في نحو ذلك يدل على الحصر، وتأخير المفعول كما في البيت معناه في ظاهر اللغة أن الله مستعان به، وليس فيه الدلالة على حصر الاستعانة بالله، ولعل النظم اضطره إلى ذلك، وإلا فإن ابن مالك لا تفوت عليه مثل هذه المعاني.

قوله: (وتقتضي رضا بغير سخط): كثير من الناظمين والمؤلفين تراهم في أول كتبهم يطلبون من القارئ أن ينظر في كتبهم بعين الرضا؛ لأنك إذا نظرت بعين السخط، فلن تستفيد من الكتاب، ولو كان كتابًا عظيمًا مليئًا بالعلم والفوائد، لكن إذا نظرت إليه بعين الرضا، وأنت تبتغي من الاطلاع عليه الاستفادة، فإنك –بإذن الله– تستفيد، وإذا كنت تقرأ كتاب وغرضك النقد وتتبع زلات هذا العالم، فقلما تستفيد من هذا الكتاب، كما قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة *** كما أن عين السخط تبدي المساويا

قوله: (فائقة ألفية ابن معطي): في هذا الشطر يمدح ابن مالك ألفيته بما هي أهل له، وإنما خص بالذكر ألفية ابن معطي؛ لأنها كانت مشهورة في وقته.

وابن معطي هو زين الدين أبو الحسين يحيي بن معطي بن عبد النور الزواوي المغربي، توفي قبل ابن مالك بقرابة أربعين سنة، وقد قرأ ابن مالك كغيره ألفية ابن معطي، وكانت هي المنتشرة حينذاك في دراسة النحو، وسماها ابن معطي: (الدرة الألفية)، ولها شروح كثيرة.

ولا عجب في أن يمدح ابن مالك ألفيته وهو يعتقد ذلك، والإنصاف أن يقال: إن ألفية ابن مالك أجمع وأوعب، وألفية ابن معطي أسلس وأعذب، فألفية ابن معطي أعذب وسهلة؛ لأنه كان في مسحة أدبية، ولكن ألفية ابن مالك تميزت عليها بأنها أجمع لمسائل النحو وأوعب لأبوابه.

قوله: (وهو بسبق حائز تفضيلًا مستوجب ثنائي الجميلا): بعد أن ذكر ابن مالك أن ألفيته تفوق ألفية ابن معطي، وهو قال ذلك اعتقادًا لا افتخارًا، استدرك بهذا البيت خوفًا من أن يفهم من قوله شيئًا لا يريده، فمن أخلاق العلماء والصالحين ذكر بعضهم بعضًا بما هو فيهم من الأخلاق الطيبة، وذكر سابقتهم وبخاصة إذا كانوا أهل سابقة، وابن معطي أهل سابقة في هذا الباب وهو نظم النحو، فذكره بالخير وأن له التفضيل، إذ أنه هو الذي سبق إلى هذا الباب، وعبد هذا الطريق، ويستحق منا الثناء والتفضيل لهذا الجانب، وهكذا ينبغي أن يكون طالب العلم أن يمدح إخوانه وأقرانه لما هو فيهم، أما مع علماؤه ومشايخه ومن لهم سابقة، فهؤلاء من حقهم وواجبهم علينا أن نذكر سابقتهم، وأن نثني عليهم وأن نمدحهم، وإن كانت لهم أخطاء فإنها تغمر في حسناتهم، فلنستفد من ابن مالك هذا الخلق العظيم.

ومع ذلك فإن ابن مالك لم يسلم من مثل ما فعله بابن معطي، إذ جاء بعده الإمام السيوطي المتوفى في أوائل القرن العاشر، فنظم ألفية في النحو، وقال في أولها: فائقة ألفية ابن مالك. وذكر أسباب التفوق، إلا أن النحويين لا يقرون له بذلك، فلهذا لم تشتهر كما اشتهرت ألفية ابن مالك، ثم جاء بعد ذلك متأخر فنظم ألفية في النحو، وقال في أولها: فائقة ألفية السيوطي. لكن يبقى المكان العالي لألفية ابن مالك.

قوله: (والله يقضي بهبات وافرة لي وله في درجات الآخرة): ما زال ابن مالك ملحًا في ألا يفهم منه ما لا يريد، أنه ينتقص من ابن معطي أو يفتخر عليه، فلهذا دعا له ولنفسه بالهبات العظيمة من الله والدرجات العليا في الجنة، وكان الأفضل من ابن مالك –رحمه الله– أن يعمم الدعاء لهما وللمسلمين، فإن

التعميم في الدعاء من أسباب الإجابة، وهذه عادة الرسل، فإبراهيم عليه السلام يقول: {رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ} [إبراهيم: ٤١]، ونوح عليه السلام يقول: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [نوح: ٢٨]، والله تعالى أمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [محمد: ١٩]، فلهذا أصلح بعض الناظمين هذا البيت ببيت آخر، قال فيه:

والله يقضي بالرضا والرحمة *** لي وله وجميع الأمة

والذي يظهر -والله أعلم- أن ابن مالك لا تفوت عليه هذه المعاني، ولكنه كان يريد وهو يقول هذا البيت دفع الإلباس، وهو أن يظن أنه إنما قال ذلك للافتخار على ابن معطي والتنقص منه، لهذا خصه -رحمه الله- ببيتين في الألفية يثني عليه فيهما ويدعو له.

فإن قيل: في قوله: هبات وافرة. إشكال، وهو أن هبات جمع هبة، ووافرة مفرد، فكيف وصف الجمع بالمفرد؟.

والجواب: أن الجمع إن كان لغير عاقل، ثبت في وصفه وفي فعله الإفراد والجمع، سواء كان غير العاقل مجموعًا جمع مؤنث سالم مثل: سيارات، وطائرات، وقطارات. أو كان مجموعًا جمع تكسير مثل: جبال، وبيوت، وأغصان.

إعراب الأبيات:

قال: فعل ماض.

محمد: فاعل.

هو: ضمير مبتدأ.

ابن: خبر مرفوع.

مالك: مضاف إليه.

أحمد: فعل مضارع، وفاعله يعود إلى محمد.

ربي: رب مفعول به، والياء مضاف إليه.

الله: بدل أو عطف بيان؛ لأنه يقع موقع الأول.

خير مالك: خير حال وهو مضاف، ومالك مضاف إليه.

مصليًا: حال.

فائقة: حال.

تفضيلًا: مفعول به منصوب.

*** المتن ***

الباب الأول: الكلام وما يتألف منه

كلامنا لفظ مفيد كاستقم *** واسم وفعل ثم حرفٌ الكلم
واحده كلمة والقول عم *** وكلمة بها كلام قد يؤم
بالجر والتنوين والندا وأل *** ومسند للاسم تمييز حصل
بتا فعلت وأتت ويا افعلي *** ونون أقبلنّ فعل ينجلي
سواهما الحرف كهل وفي ولم *** فعل مضارع يلي لم كيشم
وماضي الأفعال بالتا مز وسم *** بالنون فعل الأمر إن أمر فهم
والأمر إن لم يك للنون محل *** فيه هو اسم نحو صه وحيَّهل

*** الشرح ***

ذكر شيخنا ابن عثيمين عن مشايخه: أن النحو كبيت من قصب بابه من حديد[٣]. يريدون بذلك أن النحو سهل، وصعوبته في أوله، فالصعوبة في البابين الأولين منه، ففيهما أصول النحو والقواعد العامة التي تحكم لك مسائل النحو وفروعه، فإذا أتقنت هذين البابين سهل عليك بعد ذلك النحو، وصرت مؤهلًا أن تفهم ما يشرح لك، وإذا لم تفهم هذين البابين وتتقنهما صار النحو بعد ذلك صعبًا؛ لأنك محتاج أتم الاحتياج ومفتقر كل الافتقار في كل مسائل النحو إلى هذين البابين، لأن الأحكام بعد ذلك ستفصل بناء على أنك فهمت هذين البابين، فلا بد من الاهتمام بهذين البابين، وإتقان أصول النحو وقواعده ليسهل بعد ذلك فروعه وجزئياته، وهي كثيرة، ولكن ضبطها يكون بضبط الأصول والقواعد العامة.

---

[٣] وعكس علم النحو علم الفرائض، فإنهم يقولون: إنه بيت من حديد بابه من قصب، فأول الفرائض سهل جدًا، ثم بعد ذلك تأتي أبواب فيها صعوبة.

ذكر المؤلف -رحمه الله- في هذه الأبيات تعريف الكلام والكلم والكلمة والقول، وذكر أنواع الكلم الثلاثة: الاسم والفعل والحرف، وذكر العلامات المميزة التي تميز الأسماء، وتميز الأفعال، وتميز الحروف.

قوله: (كلامنا لفظ مفيد كاستقم): أي كلامنا نحن النحويين لفظ مفيد، فهو لا يقصد تعريف الكلام عند النحويين، لا عند اللغويين، ولا عند المتكلمين، ولا عند الأصوليين، فكل علماء عندهم تعريفات اصطلاحية تختص بهم.

فالكلام عند النحويين هو ما اجتمع فيه اللفظ والإفادة، واللفظ هو الحروف الخارجة من الفم، والمفيد هو الذي له معنى تام كامل، يحسن السكوت عليه؛ لأن المعنى قد يكون معنى كاملًا فيسمى مفيدًا، وقد يكون معنى ناقصًا فلا يسمى مفيدًا، فإذا قلت: محمد. فهذا لفظ؛ لأنه حروف خارجة من الفم، وله معنى، لكن معناه ناقص، فإذا قلت: محمد يصلي. هنا يتم المعنى، حتى أنك تستطيع أن تسكت.

أما الكلمة: فهي اللفظ المفرد الدال على معنى. فيخرج بذلك الألفاظ التي ليس لها معاني عند العرب، وجمع الكلمة هو الكلم، وهو بمعنى كلمات، إلا أن الكلمات تسمى في اصطلاح النحو جمع مؤنث سالم، والكلم يسمى عندهم اسم جنس؛ لأن ما يدل على الجمع عند العرب ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الجمع الاصطلاحي، سواء كان جمع مذكر سالم، أو جمع مؤنث سالم، أو جمع تكسير.

النوع الثاني: اسم الجنس، وهو ما يفرق بينه وبين مفردة بالتاء المربوطة، كتمر وتمرة، وبقر وبقرة، وكلم وكلمة، أو بالياء المشددة، كعرب وعربي، وروم ورومي، وعجم وعجمي.

النوع الثالث: اسم الجمع، وهو ما ليس له مفرد من لفظه، كقوم، وشعب، ورهط، وأمة.

ويسمى اللفظ كلمًا إذا كان يتكون من ثلاث كلمات فأكثر.

قوله: (واسم وفعل ثم حرفٌ الكلم): في هذا الشطر تقديم وتأخير، وأصل الترتيب: الكلم اسم وفعل ثم حرف. فقدم الخبر وأخبر المبتدأ، وتقديم الخبر جائز إذا لم يكن هناك لبس أو مانع.

قوله: (واحده كلمة، والقول عم): أي أن القول يعم الكلمة ويعم غيرها، كالمركبات الإضافية كعبد الله؛ لأن القول هو اللفظ الدال على معنى، واللفظ مهما كان له معنى، سواء كان معنى تام، أو معنى ناقص.

قوله: (وكلمة بها كلام قد يؤم): قال السيوطي: هذا الشطر من أمراض الألفية التي لا دواء لها. وبيان ذلك: أن الكلمة قد تطلق ويراد بها كلام كثير، كقوله تعالى: {كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا} [المؤمنون: ١٠٠]، يريد بذلك قوله: {رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ} [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، فسمى كل هذا الكلام كلمة، وكقوله تعالى: {كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ} [الكهف: ٥]، يعني قولهم: {اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا} [الكهف: ٤]، ويقولون: ألقى الخطيب كلمته. أي خطبته، وألقى الشاعر كلمته. أي قصيدته. فقول ابن مالك صحيح، ولكنه معنى لغوي، وليس اصطلاحًا نحويًا، وهو إنما عقد هذه الألفية في علم النحو لا في علم اللغة، ومما يعاب على العلماء أن يخلطوا بين العلوم، وكان أقل ما يجب على ابن مالك هنا إذا أراد أن يذكر هذه المعلومة، أن ينص على أن هذا المعنى معنى لغوي، لكي لا يظن الدارس أن النحوي قد يسمي الكلام كلمة، فلهذا أصلح بعضهم هذا البيت بقوله:

واحده كلمةٌ وقد يُؤم *** بها كلامٌ لغةً والقول عم

قوله: (بالجر والتنوين والندا وأل ومسند للاسم تمييز حصل): بدأ المؤلف في ذكر العلامات التي تميز بين الأسماء والأفعال والحروف، وهذه القضية هي الضرورة الأولى في النحو، وهي من أهم المهمات في هذا العلم، فيجب إتقانها وعدم الضعف فيها، لمن أراد أن يدرس النحو؛ لأنها معلومة ستدخل في كل المسائل والأحكام والأبواب النحوية، ولا يصح للطالب أن يحكم أي حكم نحوي أو يعرب أي إعراب لكلمة لا يعرف نوعها، وكثير من الدارسين يفرق بين كثير من الكلمات، فيعرف أن محمد اسم، وجاء فعل، وقد حرف، لكن هناك كلمات قد تغمض على بعض الدارسين، وأذكر أمثلة لها:

المثال الأول: المسلمون لا يسجدون إلا لله.

المسلمون: اسم.

لا: حرف.

يسجدون: يسجد فعل، والواو اسم؛ لأنها ضمير، والضمائر كلها أسماء.

إلا: حرف.

لله: اللام حرف جر، والله لفظ الجلالة اسم.

المثال الثاني: جالس: اسم. جلوس: اسم. صه: اسم.

مسألة: كيف نميز بين هذه الأنواع، وبخاصة الكلمات التي تغمض على بعض الدارسين؟.

الجواب: يمكن أن تميز بين هذه الأنواع بأكثر من طريقة:

الطريقة الأولى: التعريف، ولن نذكرها؛ لأن شيخنا ابن مالك لم يذكرها.

الطريقة الثانية: ذكر الأنواع، وهي طريقة جيدة، ولم يذكرها ابن مالك.

الطريقة الثالثة: العلامات المميزة -وهي غير علامات الإعراب من الفتحة والضمة والكسرة والسكون- التي تطبق على الكلمة، فإذا انطبقت عليها، فهي اسم أو فعل أو حرف، وإن لم تنطبق عليها فليست كذلك.

علامات الاسم:

ذكر المؤلف للاسم خمس علامات مميزة، متى ما انطبقت هذه العلامات أو بعضها ولو واحدة منها على الكلمة، فهي اسم، وإذا لم تنطبق هذه العلامات كلها على كلمة، فليست اسمًا، وهي:

العلامة الأولى: الجر، ويراد به أن الكلمة التي يمكن أن تضع قبلها حرف جر، وتضع على آخرها كسرة فهي اسم، فتقول: سلمت على محمدٍ. وسلمت على جالسٍ، وعلى راكبٍ، وأعجبت بجلوسٍ، وبضربٍ.

ولا يجوز دخول الجر على الفعل، ولا على الحرف.

العلامة الثانية: التنوين وهو إما ضمتان أو فتحتان أو كسرتان تلحقان آخر الاسم، فكل كلمة تقبل التنوين فهي اسم، فتقول: جالسٌ، وراكبٌ، وجلوسٌ، ومحمدٌ، ومصلٍ، وقاضٍ.

العلامة الثالثة: النداء وهو لا يقع عقلًا إلا على اسم؛ لأنك تريد صاحب الاسم، أما الفعل فلا يدخل عليه النداء، فمهما ناديت كلمة فهي اسم، فتقول: يا محمدٌ، يا مريمُ، يا إبراهيمُ، يا جبالُ، يا حسرةً.

العلامة الرابعة: أل المعرفة وهي التي تنقل الاسم من التنكير إلى التعريف، فتقول: الجالس، الراكب، الجلوس، الضرب، الكتاب، المسجد، المصلي، الله.

وهذه العلامات علامات لفظية.

العلامة الخامسة: الإسناد إليه، وهذه علامة معنوية، ويراد بها: وقوع الكلمة فاعلًا أو مبتدأ، فإن أي كلمة يمكن أن تجعلها فاعلًا أو مبتدأ فهي حينئذ مسند إليه، ولا تكون إلا اسمًا، والسر في ذلك: أن كل اللغات إنما تقوم على نظرية الإسناد التي يتم بها الفهم، وذلك أن تسند شيئًا إلى شيء فتتم بذلك الفائدة، كأن تسند الاجتهاد إلى محمد، ويمكن أن تقوم بهذه العملية بطريقين:

الطريق الأول: الجملة الفعلية، فتقول: اجتهد محمد.

الطريق الثاني: الجملة الاسمية، فتقول: محمد مجتهد.

والمعنى فيهما واحد من حيث الإجمال، وإن كان المعنى التفصيلي يختلف، وهو إسناد الاجتهاد إلى محمد، فالمسند في هاتين الجملتين هو الاجتهاد، والمسند إليه هو محمد، لكنه في الجملة الاسمية هو المبتدأ، وفي الجملة الفعلية هو الفاعل، والمسند إليه لا يكون في اللغة العربية إلا اسمًا، أما المسند فقد يكون فعلًا وقد يكون اسمًا.

وهذه العلامات للاسم بعض الأسماء تقبلها كلها، ككلمة راسب، وبعض الأسماء تقبل أكثر من علامة، كأسماء الإشارة، وبعض الأسماء لا تقبل إلا علامة واحدة كالضمائر.

قوله: (بتا فعلت وأتت ويا افعلي ونون أقبلنّ فعل ينجلي): في هذا البيت تقديم وتأخير، والفعل ينجلي وينكشف ويتميز عن أخويه الاسم والحرف بعدة علامات:

العلامة الأولى: تا فعلتَ، وهي الضمير الدال على الفاعل، فإن كان الفاعل مخاطبًا تكون مفتوحة، وإن كان مخاطبة تكون مكسورة، وإن كان متكلمًا تكون مضمومة، فأي كلمة تقبل تاء الفاعل تكون فعل، وتاء المتكلم علامة مميزة للفعل الماضي، فلا تدخل على الفعل المضارع، ولا على فعل الأمر، ولا على الاسم ولا على الحرف.

العلامة الثانية: تا أتتْ، وهي تاء التأنيث الساكنة؛ لأنها تدل على أن الفاعل مؤنث، وفرق بينها وبين تاء التأنيث المتحركة، وهي خاصة بالأسماء، مثل: قائمةٌ، جالسةٌ، آتيةٌ. وتاء التأنيث الساكنة علامة مميزة للفعل الماضي.

العلامة الثالثة: يا افعلي، وهي ياء المخاطبة التي تدل على أن الفاعل مؤنثة مخاطبة، وهذه الياء لا يقبلها إلا الفعل المضارع والفعل الأمر.

العلامة الرابعة: نون أقبلنَّ، وهي نون التوكيد، ولا يقبلها إلا الفعل الأمر، وقد يقبلها المضارع.

قوله: (سواهما الحرف): يعني أن الحرف بعد ذلك صار أمره واضحًا، فإذا تبينت الاسمية والفعلية تبينت بعد ذلك الحرفية، فإذا لم تقبل الكلمة شيئًا من علامات الاسم ولا علامات الفعل، فإنها تكون حرفًا، فابن مالك لم يذكر للحرف علامة وجودية، وإنما اكتفى بذكر علامة عدمية، فعلامة الحرف عدم قبول الكلمة علامات الاسم وعلامات الفعل.

وقد قال أبو القاسم الحريري[٤]:

والحـرف مـا لـيس لـه علامـة *** فقـس علـى قـولي تكـن علامـة

قوله: (كهل وفي ولم): هل حرف استفهام، وفي حرف جر، ولم حرف جزم.

قوله: (فعل مضارع يلي لم كيشم): أراد ابن مالك أن ينزل إلى مسألة أعمق، وهي التمييز بين أنواع الفعل؛ لأن الفعل في قسمته المشهورة: ماض، ومضارع وأمر. فلا بد من التمييز بينها، وإن كان التمييز بينها واضحًا.

فعلامة المضارع المميزة: قبول (لم)، فالكلمة التي تقبل لم فعل مضارع، والكلمة التي لا تقبل لم ليست فعلًا مضارعًا، مثال: يشم. تقول: لم يشم، ولم يذهب، ولم نذهب.

قوله: (وماضي الأفعال بالتا مز): أي ميز الفعل الماض بتاء الفاعل، وتاء التأنيث الساكنة، فكل كلمة تقبل تاء التأنيث الساكنة أو تاء الفاعل فهي فعل ماض، وكل كلمة لا تقبل تاء الفاعل ولا تاء التأنيث الساكنة فليست فعلًا ماضيًا.

قوله: (وسم بالنون فعل الأمر إن أمر فهم): علامة الفعل الأمر المميزة قبول نون التوكيد والدلالة على الطلب، مثال: اذهب، انتبه، اجتهد. فكل هذه الأفعال تقبل نون التوكيد.

قوله: (والأمر إن لم يك للنون محل فيه هو اسم نحو صه وحيَّهل): فإذا كانت الكلمة التي تدل على الأمر لا تقبل النون، مثل: صه وهو اسم فعل بمعنى اسكت، وحيهل اسم فعل بمعنى أقبل، وكلاهما يدل على الأمر، لكنهما لا يقبلان نون التوكيد، فهما اسمان.

---

[٤] ملحة الإعراب.